

خزانة الأدب وغاية الأرب

بالجوارح الأكباد وانقلب طهرا لبطن نبا الناظر وجفا الحاجب وذهبت العين ونفدت الراحة
وصلد الزند ووهت اليمين وبانت المرافق ولم يبق لنا ثنية ولا ناب .
قلت وهذا الفصل الذي أحجم القاضي عن معارضته قلت في معناه وكتبت إلى سيدنا قاضي
القضاة صدر الدين بن الآدمي نور الله ضريحه رسالة مجسده مشتملة على ذلك جيدة راعيت فيها
النظير لأجل الصدر من الرأس إلى القدم ولم أخرج فيها عن حسن الختام الذي ما ختمت رسالة
بنظيره والتزمت فيها السجع الذي فر الحريري منه في فصله وقد عن لي أن أثبت الرسالة هنا
بكمالها وأرجع إلى ما كنا فيه من حسن الختام في المقامة الحريية والرسالة هي .
(يقبل أرضا بالعلا قد تجسدت ... بأرواح أهل العلم روضة مشتهى) .
(وهبت بأنفاس العلوم قبولها ... ولا زال صدر الدين منشرا بها) .
وينهى أن الصدر رأس العلوم وكم له من فرق دق على الأفهام وهو كالغرة في جباه الأيام
لا زال المجد له حاجيا مقرونا بسعده الشامل ولا برح بعلمه عينا لوجوه المسائل فله أهداب
معانيه التي هي أسحر من عيون الغزلان وأمضى من السيوف إذا برزت من الأجفان وأصداع فضائله
التي هي عاطفة على وجنات الوجود لأنها كالعوارض الماطرة وكم أنست عند ذكره من سالفه وكم
لها في قلوب الأعداء من خدود وندى جوده الذي إذا جاءه الشارب وجد عنده شفاة وحلاوة نظمه
الذي أنسانا ذكر العذيب وثناياه وعنق مكارمه التي ألفت من البديع الالتفات وأوصافه التي
غدت على خد الدهر شامات حتى تبدلت سيئاته حسنات كف عنا تعب الفقر بكرم راحته المتزايد
من غير أن يقال له ساعد وشهدنا بأن أياديه بحر يفيض بصنائعه فأشار النيل إلى قبول هذه
الشهادة بأصابعه فله ندى يمينه الذي لم يزل المملوك به في بلاد الشام مكفى وكم فاض منه
قلب النيل وجهد أن يوفيه بالباع والذراع فما وفي جبلت على محبته القلوب فصار حبه طاهرا
في كل باطن وحتت إليه الجوارح لما سارت مناقبه إلى كل جانب فحركت كل ساكن ورفع المملوك
أدعيته التي هي إن شاء الله تعالى نعيم للبدن الكريم واعتدال اللطيف ذلك المزاج وأثنيت
التي هي كالمناطق على خصور الحسان وبها لكل قلب ابتهاج ولكن ثناقلت عليه أرداف النوى
وأسكنت في وسط لبه الجوى وقده الانقطاع بسيفه الذي زاد في حده ولكن جار في قده ولو حصر
المملوك